

وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فندية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعنى المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الخيفية قبل البعثة : كزید بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون الأذقان) أى لناحية الأذقان كقولهم ختر للدين وللهم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون الأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بالله يارحم ، فقالوا إن كان محمداً أمراً بدعائه إله واحد وهما هو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد ، وأنه يخبر في الدعاء بأى الاسمين شاء ، والدعاء فى الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدى زيدا لا بمعنى النداء (آيات ادعوا لله الاسماء الحسنى) آيات اسم شرط منصوب بدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، ومازائدة للتأكيد والضمير فى به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أى هذين الاسمين تدعو لحسن ، لأن الله له الاسماء الحسنى فوضع قوله لله الاسماء الحسنى موضع الحال ، وهو فى المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها) المخافة هى الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فى الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولي من الدل) أى ليس له ناصر يمنع من الدل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنى عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبرى أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولي من الدل رد على الصابئين فى قولهم لولا أولياء الله لذلل الله ، تعالى الله عن قولهم ، علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشرىفاله

شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرْزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحسن وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قوما) أي مستقيما ، وقيل قوما على الخلق بأمر الله تعالى ، وقيل قوما على سائر الكتب بتصديفها ، وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزمخشري ذلك للفصل بين الحال وذی الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قوما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل أوبقيا ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبي صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثاني وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أي من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعني الجنة (ما كثرين فيه) أي دائمين ، وانتصابه على الحال من الضمير في لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم في عيسى واليهود لقولهم في عزيز وبعض العرب لقولهم في الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انتصب على التمييز على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير في كبرت (فلعلمك باخع نفسك) أي قاتلتها بالحزن والأسف ، والمعنى تسلمية النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه باخع نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى ما يصلح للترزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أي لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التي لا نبات فيها : أي سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التي لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلهم ، وقيل هو لوح رقت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التي كانت يازاه الكهف ، وقيل الجبل الذي فيه الكهف ، وقال ابن عباس لا أدري ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) تذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، وفروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمَرْنَا رَشَدًا ۖ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا ۚ أَمَدًا ۚ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۚ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۚ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَمَيْنَتَيْنِ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا ۚ وَتَرَىٰ

عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعمهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بديراهم كانت لهم فمجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أين جاءت لك ، وشاع الكلام بذلك في الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، رقيب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس ، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، وبما يبعد ذلك ماروى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأنديلس قط ، وأيضا فإن الموتى التي في غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذي ذكر الله في أصحاب الكهف (فضر بنا على آذانهم في الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزحخشري : المعنى ضربنا على آذانهم حجبا بأثم حذف هذا المفعول (سنيين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم ، والحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما وبعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التفضيل لا يكون من فعل رباعى إلا في الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوينا عزيمتهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لودعونا من دونه إله القلقا ولا شططا ، والشطط الجور والنعدى (لولا يأتون عليهم بسطان بين) تخصيص بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذا اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم (وما يعبدون) عطف على المفعول في اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم ما يعبدون (إلا الله) أى ما يعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومه يعبدن الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود وما يعبدون

الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * وتحسبهم أيتاما وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بسط ذراعيه بالوصيد لو أطاعت عليهم لوليت منهم فرارا ولمأئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم

من دون الله (فاووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل في إذا غرتهم وهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكهف فلنجعل الكهف لنا مأوى وتكمل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرها ما يرفق به وينتفع (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتزوج ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لثلاثي يمتدحها بحرهما ، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نوح ، فلذلك لا تصيبهم الشمس ، والاول أظهر لقوله ذلك من آيات الله ، (وهم في فجوة منه) أى في موضع واسع ، وذلك مفتوح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان ليكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بحملته (وتحسبهم أيتاما وهم رقود) أيتاما جمع يقط وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيتاما وفي قوله أيتاما وهم رقود مطابقة ، وهى من أدوات البيان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته ، وهم لا ينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة ، وقيل من سبع سنين إلى ثلاثها (وكلهم بسط ذراعيه) قيل إنه كان كل واحد منهم بصيده ، وقيل كان كل واحد منهم فرأى عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى بباب الكهف ، وقيل عتبه وقيل البناء (ولمأئت منهم رعبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لا تستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لو أطاعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما آمنناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأذكرك على من قال يوما أو بعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند عليها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدكم على جواز الوكالة ، فإن قيل : كيف

بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلِيَتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا أَبَدَا ۚ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءًا ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَايْءٍ

اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابشروا أحدكم (إلى المدينة) قيل لأنها طرسوس (أزكى طعاما) قيل أكثر ، وقيل أحل ، وقيل إنه أراد شراء زبيب ، وقيل تمر (وليتلطّف) في اختفائه وتحيله (إن يظهروا عليكم يرجمكم) أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، وقيل المعنى يرجمكم بالقول ، والأول أظهر (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أنماهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف : أى أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ يمتازعون بينهم أمرهم) العامل فى إذ أعثرنا أو مضمّر تقديره اذكر والمنتازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون فى أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم بيوتا) أى على باب كهفهم إماليطمس آثارهم أولي حفظهم ويمنعهم من يريد أخذهم وأخذ تربتهم تبركا ، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعنى الولاة وقيل يعنى المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم فى أصحاب الكهف (رجما بالغيب) أى ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمى (سبعة وثامنهم كلبهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفى قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفى قوله فى أهل الجنة وفتحت أبوابها ، وفى قوله فى برامة والنهارون عن المنكر ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفى يده سيف قال الزمخشري وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو فى آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين فى قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل فى الثانى والثالث استغناء بدخولها فى الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب ، قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، لأنه قال فى الثلاثة والخمسة رجما بالغيب ، ولم يقل ذلك فى سبعة وثامنهم كلبهم (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب فى عدة أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا أى غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف فى الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم)

إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُنُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال (ولا تقوان لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم أسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوما فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليلها ، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى بعد يومه خاصة ، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقوان لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقوان . والمعنى لا تقوان ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشري ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثنى بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة ، وأمام مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليدرك ما نسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره في كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) في هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا في كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم في هذا العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فأخبره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضُ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا وَحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۝ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْإِندَادَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِنِينَ

الإخبار ، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أو عطف بيان ، أو على التمييز وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع ووضع المفرد (أبصر به وأسمع) أى ما أبصره وما أسمعته ، لأن الله يدرك الحقائق كما يدرك الجليات (ما لهم) الضمير لجميع الخلق أو المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك في حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لا مبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتحدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قد قالوا له اطرده هؤلاء نجاسك نحن ، فنزلت الآية (بالغداة والعشى) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا . وقال الزمخشري يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة في موضع الحال فهى متصلة بما قبلها ، وهى فى معنى تعليل الفعل المنهى عنه فى قوله ولا تعد عينك عنهم : أى لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عينه بن حصين الفزارى ، والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففى ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق فى اللغة ما أحاط بالشئ كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فليل حائط من نار ، وقيل دخان (كالهمل) وهو دردى الزيت إذا انتهى حره روى ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ما أذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شئ يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الانكاء (أولئك لهم) خبر إن ، ولما لا نضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون لانا لا نضيع الخبر ، وأولئك استشفاف ، ويقوم العموم فى قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان

فِيهَا عَلَى الْأَرْآئِكَ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا . وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنَ رِّجَالِنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كُلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ

وعلى رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار ، وهو ما يجعل في اليد ، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقراء الذين أرادوا طردهم : أى مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين ، وهما أخون من بنى إسرائيل : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر : ورثا مالا عن أبيهما ، فاشتري الكافر بماله جنتين ، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر ، وروى أن اسم المؤمن تملیخا ، واسم الكافر فطروس ، وقيل كانا شريكين أقسما المال فاشتري أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل ، ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم الثاء والميم أصناف المسال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس وقتادة ، وقيل هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا ، وأما بفتح الثاء والميم ، فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه في الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا ، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه ، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال بأظن أن تبید هذه أبدا) يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات ، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاغترار وقلة التحصيل (وإن رددت إلى ربى) إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى : لأجدن في الآخرة خيرا من جنتى في الدنيا ، وقرئ خيرا منهما بضمير الاثنين للجنتين ، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق منه أباك آدم ، وإنما جعله كافرا لشكه في البعث (سواءك رجلا) كما تقول سواءك إنسانا ، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى (لكنا هو الله ربى) قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل ، والأصل على هذا لكن أنا ، ثم أقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها ، وحذفت ثم أدغمت النون في النون ، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف ، ويتوجه ذلك بأن تكون لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا ، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَا وَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ، وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تحضيض (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمرأ مهالكا كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غار إذا هبأ وهو مصدر وصف به (وأحيط بشمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تاهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرئاسة والملك ، وبفتحها من الموالاة والمودة (وخير عقبا) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطا : أى ملتفا ببعضه ببعض من شدة تكافئه (فأصبح هشيما) أى متفتتا ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فناها بالزرع فى فناه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئ زينا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحملها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشري إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفا) أى صفوفا فهو أفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه النوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

مَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْلَيْنَا مَا لَ هَٰذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ الظِّلْمُ بِذَٰلِكَ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَوَّلَٰئِنْ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعني صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإبادة إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أي خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (فسق عن أمر ربه) : أي خرج عن ما أمر به ، والفسق في اللغة الخروج (أفتتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ وعظ وذرية إبليس هم الشياطين ، واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطوائف وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائي) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أي مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أوردية جهنم والضمير في بينهم المشركون وشركائهم (فظنوا أنهم موافقوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أي معدلا ينصرفون إليه (جدلا) أي مخاصمة ومداغة بالقول ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر ابن الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيتهم سنة الأمم المتقدمة ، وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيتهم العذاب يعني عذاب الآخرة ومعنى قبل ماينة وقرئ بضميتين وهو جمع قبيل : أي أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أي ليبتلوا (وما أنذروا هزوا) يعني العذاب وما برصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكَنَّهُ أَنْ يَفْقَهُهُ وَفِي إِذَانِهِمْ وَقَرَأَ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ بِجَمْعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا
فَلَمَّا بَلَغَا بِجَمْعٍ بَيْنَهُمَا نِسْيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلُهُ إِتَيْنَا غَدَاةً لَقَدْ لَقِينَا
مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لسكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والاول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موثقا) أى ملجأ يقال وثل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكتناهم وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لسكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبي الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره وبدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما في بني إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دلى على السبيل إلى لقاءه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكمل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا للدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة في الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة وجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق (أو أمضى حقا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسي الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرُهُ وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا : فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلِ اتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ؟ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ؟ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ

بشيء (فاتخذ سبيله في البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار في البحر فقبل إن الحوت كان ميتا فملحو حاشم صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة مامت قط شيئا إلا حي وفي الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك في جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ماورد في الحديث (فلما جاوزا) أي جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمانة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتهاه آتنا غداءنا (نصبا) أي تعبنا (قال أرايت إذ أوينا إلى الصخرة) قال الزحشرى أرايت هنا بمعنى أخبرني ثم قال ، فإن قلت ما وجه التثام هذا الكلام فإن كل واحد من أرايت وإذ أوينا وإني نسيت الحوت لا متعلق له ؟ فالجواب أنه لما طالب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش ففلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرايت مادها في إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أي نسيت أن أذكرك ما أرايت من ذهابه في البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله في البحر عجباً) يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أي اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجباً أي تعجب هو منه وإعراب عجباً مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله في البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجباً وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أي فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمانة على وجدان الرجل (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرججا عن الطريق (فوجدوا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي وقيل إنه ليس بنبي ولكنه ولي وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) في الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأني بأرضك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك في بنى إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكنني أحببت لقامك وأن أتعلم منك قال إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لأعلمه أنا (قاله موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدنا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثلث بتعلمني أو حال من الضمير في أتبعك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَمَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَمَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ سَانِبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجره (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكرأ (فانطالما) يعنى بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفهم غلام وضى الصورة فاقطع الخضر رأسه، وقيل ذبحه، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشري إن قلت لم قال خرقها بغير فاء، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا، فإن قيل لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يباغ فعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو أبغ من قوله إمرا ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس فى قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلى فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالاندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن يجمع البحرين عند طنجة وسبته (استطعا أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقض) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقض ووزن ينقض ينفع وقيل بفعل بالتشديد كيجمر (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه أجرا أى طعاما تأكله (قال هذا فراق بنى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله وإن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى، على أن قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا، ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشري الأصل هذا فراق

فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا . وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا . * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا . * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . * وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ

بني ويديك بقنوين فراق ونصب يبنى على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الطرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث ، الذي أوجب الفراق ، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل لأنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم ، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم في لجج البحر ، وقيل كانوا إخوة عشرة ، منهم خمسة عالمون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين ، أى يسكنون السفينة (وكان وراهم) قيل معناه قدامهم ، وقرأ ابن عباس أمامهم ، وقال ابن عطية إن وراهم على بابه ولكن روى به الزمان فالوراء هو المستقبل والامام هو الماضي (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة ، وقيل : إن اسم هذا الملك هدد بن يدد وهذا يقتدر إلى نقل صحيح ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر في المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافرا ، وروى أنه كان يفسد في الأرض ، (نخشين أن يرهبهما) المتكلم بذلك الحضر وقيل لأنه من كلام الله وتأويله على هذا فذكرنا ، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع في القرن من عسى ولعل ، وإنما هو في حق المخاطبين ومعنى يرهبهما طغيانا وكفرا ، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعها أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أى غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أى طهارة وفضيلة في دينه (وأقرب رحما) أى رحمة وشفقة ، فقيل المعنى أن يرحمهما ، وقيل : يرحمونه (لغلامين يتيمين) اليتيم من فقد أبويه قبل البلوغ ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصرم ، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم ، وقيل كان علما في صحف مدفونة ، والأدل أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر غيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله ، وأسند الحضر إلى نفسه في قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام : وإذا مرضت فهو يشفين ، فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا ، واختلف في قوله فأردنا أن يبدلها هل هو مسند إلى ضمير الحضر أو إلى الله ، (وما فعلته عن أمري) هذا دليل على نبوة الحضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذي القرنين) السائلون اليهود ، أو قريش بإشارة اليهود ، وذو القرنين هو الإسكندر الملك ، وهو يوناني وقيل رومى وكان رجلا صالحا ، وقيل كان نبيا ، وقيل كان مليكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبَّأً حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَّأً حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَّأً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ

لم سمي ذو القرنين ف قيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا (إنا مكنا له في الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناها من كل شيء سبيا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سبيا) أى طريقا يوصله (وجدها تغرب في عين حمئة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلما بها مني ، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للوضعين ، ويجمع معنى القراءتين (قلنا يا ذا القرنين) استدلل بهذا من قال إن ذا القرنين نبى لأن هذا القول وحى ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إماما أن تعذب وإماما تتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فخبره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل (قال أمان ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) وعدمه بأن يبسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس في أمراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أوردى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقه الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعدلسانهم عن أسنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَاتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۚ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا
لَهُ نَقَبًا ۚ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ وَتَرَكَنَا بِهِمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفْخٌ فِي الصُّورِ فَمَجَمَعَهُمْ جَمْعًا ۚ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۚ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ
فِي غُطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۚ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِّن دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا ۚ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۚ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ إِلَّا بِالْإِشَارَةِ أَوْ نَحْوَهَا (يأجوج ومأجوج) قَبِيلَتَانِ مِّن بَنِي آدَمَ فِي خَلْقِهِمْ تَشْوِيهِ مِنْهُمْ مَفْرَطَ الطُّولِ وَمَفْرَطَ
الْقَصْرِ (مفسدون في الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بني آدم (فهل نجعل لك
خرجا على أن تجعل بيتنا وبينهم سدا) هذا استفهام في ضمنه عرض ورجبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج
وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أوالا ليقم بها السد (قال ما مكني فيه ربي خير) أي ما بسط الله
لي من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي (ردما) أي حاجزا
حصييا والردم أعظم من السد (ساوي بين الصدفين) أي بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أي أوقدوا
النار على الحديد (قطرا) أي نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل
البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما استطاعوا أن يظهروه)
أصل استطاعوا استطاعوا حذف التاء تخفيفا والضمير في يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا
على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدر أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته (قال هذا
رحمة من ربي) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربي) يعني القيامة جعله دكا أي مبسوطا مسويا
بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) الضمير في تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم
القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير في قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير
في قوله بعضهم على هذا يأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ في الصور فيتصل الكلام ويموج
عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ في الصور) الصور هو القرن الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في
الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أي أظهرناها (كانت
أعينهم في غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي
من دوني أولياء) يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد
مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أي يسرنا (نزلا) ما ييسر للضيف والقادم عند
نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله وكانت لهم جنات الفردوس نزلا، ويحتمل
أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية في كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَاهُ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۚ

ولقائه وقيل في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم وفي قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنان الفردوس) هي أعلا الجنة حسبما ورد في الحديث ولفظ الفردوس أعجمي معرب (حولا) أي تحولا وانتقالا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس وهي المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفذ البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جنى مبحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أي زيادة والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر (فن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين والله أعلم

(تم الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث)

(وأوله سورة مريم)